المحاضرة رقم -٥-

رايت ميلز والخيال الاجتماعي

١-مفهوم الخيال السوسيولوجي: تمثل فكر الخيال السوسولوجي أحد أهم الأدوات النظرية عند "ميلز" إذ يقوم على:

- مستوى البناء الاجتماعي
- مستوى الفرد

إلا أنه لم يكن دقيقا وضبطا من ناحية المعنى والأهمية وفي بعض الأحيان يستعمل البناء الاجتماعي ليعني انتظام السلوك الاجتماعي، إي أن السلوك الخيال أهم من المعرفة، فهو رؤية مسبقة لجاذبية الحياة المستقبلية فهو أسلوب في التفكير بمزج نوع من الذكاء بين ما هو سيكولوجي وعليه يعود تعقيد دراسته وصعوبتها إلى أنها تهتم بالعلاقات الإنسانية التي تكون في كثير من الأحيان غير واضحة[١] كما عرفه بأنه الوعي الحيوي للعلاقة بين التجربة والمجتمع ككل.

٢-العناصر الأساسية للخيال السوسولوجي:

من العناصر الأساسية للخيال السوسولوجي قدرة عالم الاجتماع على النظر إلى مجتمعه نظرة الدخيل عليه أو الغريب عنه، وليس من منظور خبراته الشخصية ونزعاته الثقافية ولنأخذ مثالا بسيطا هو عادة الأكل أثناء المشي، وليس الأمر من شيء أن نرى الناس في الولايات المتحدة يستهلكون الآيس كريم ويشربون المياه الغازية أثناء مشيهم، ويرى علماء الاجتماع في ذلك نمطا سلوكيا مقبولا لأن الأخرين يعدونه كذلك، ومع ذلك يحتاج هؤلاء العلماء إلى تجاوز حدود ثقافة ما ليروا موقف الثقافات الأخرىمن هذا السلوك، فهذا السلوك العادي غير مقبول بالمرة في الثقافات الأخرى، فالناس في اليابان مثلا لا يأكلون أثناء المشي، وعلى الرغم من أن الباعة متواجدون في الشوارع وآلات البيع منتشرة في كل مكان إلا أنهم يتوقفون لأكل أو شرب ما يشترونه قبل أن يواصلوا سيرهم، لأن الانخراط في نشاط آخر أثناء الأكل يعبر في رأيهم عن عدم احترام الطعام حتى ولو كان الأكل يأتي من آلة البيع[٢].

---

[١] أحمد زايد: علم الاجتماع، النظريات الكلاسيكية والنقدية، ط١، مصر، ٢٠٠٦، ص ٢٣١

[٢] أحمد زايد: المرجع نفسه، ص ٣٣٢

وعليه يسمح لنا الخيال السوسولوجي بتجاوز الخبرات والمشاهدات الشخصية إلى فهم القضايا العام.

٣-الخيال الاجتماعي:

هو كتاب "ميلز" ونشره عام ١٩٥٩م كان هدفه هو محاولة التوفيق بين مفهومين مختلفين ومجردين للواقع الاجتماعي، الفرد والمجتمع حيث طعن في الأفكار السائدة في علم الاجتماع وانتقد بعض المصطلحات والتعريفات الأساسية على الرغم من أن عمل "ميلز" لم يكن مستقبلا بشكل جيد في ذلك الوقت نتيجة لسمعته الشخصية والمهنية وهو اليوم واحد من أكثر كتب علم الاجتماع قراءة على نطاق واسع وهو أحد المقررات الأساسية في الولايات المتحدة، حيث قام بنقد الاتجاهات السائدة في علم الاجتماع ثم شرح علم الاجتماع كما يراه، مهنة سياسية وتاريخية ضرورية[٣].

كان تركيز نقده هو حقيقة أن علماء الاجتماع الأكاديميين في ذلك الوقت غالبا ما لعبوا دورا في دعم مواقف وأفكار النخبة وفي استنساخ الوضع الراهن غير العادل، بدلا من ذلك اقترح "ميلز" نسخته المثالية من الممارسة الاجتماعية، والتي ترتكز على أهمية الاعتراف بكيفية الفردية والنظرة العالمية هي نتاج السياق التاريخي الذي يجلسون والبيئة اليومية المباشرة التي يوجد فيها الفرد حيث ارتبط "ميلز" بهذه الأفكار وأكد على أهمية الروابط بين البنية الاجتماعية والخبرة الفردية أحد الطرق التي يمكن للمرء أن يفكر فيها كما قال التعرف على كيف ما نشهده في كثير من الأحيان مشاكل الشخصية، مثل عدم وجود ما يكفي من المال لدفع الفواتير.

هي في الواقع قضايا عامة نتيجة للمشاكل الاجتماعية هذه الدورة من خلال المجتمع وتؤثر على الكثيرين، مثل عدم المساواة الاقتصادية النظامية والفقر الهيكلي بالإضافة إلى ذلك أوصى "ميلز" بتجنب الالتزام الصارم بأي منهجية أو نظرية واحدة، لأن ممارسة علم الاجتماع لهذه الطريقة يمكن أن تؤدي في كثير من الأحيان إلى نتائج وتوصيات متحيزة، كما حث علماء الاجتماع على العمل في مجال العلوم الاجتماعية ككل بدلا من التخصص في علم الاجتماع والعلوم السياسية والاقتصاد وعلم النفس.

٤-المرتكزات الأساسية لفكر "رايت ميلز": ويمكن تلخيص أهم جوانب فكره فيما يلي:

---

[3]Gouldner, A : For sociology, Renewal and critique in sociology today, penguin, Books, 1975, P27

١- ينظر لعلم الاجتماع على أنها رؤية برجماتية، فالأفكار والنظريات ليس لها قيمة في ذاتها، لأن الذي يحدد قيمتها ما تستطيع أن تفعله في الواقع، ولهذا كان يربط دوما بين الحقائق وقواعد العمل وأساليبه التي يجب اتخاذها كما يصف ويحلل العلاقات والعمليات، ويقدم حلولا للمشكلات الخطرة التي يتعرض لها البناء الاجتماعي للمجتمع الأمريكي.

٢- دعا "رايت ميلز" إلى ضرورة الأخذ بالنظرة الشاملة في الدراسة السوسيولوجية بحيث يكون تركيز الباحث على مستويات ثلاثة هي الإنسان والمجتمع والتاريخ ، المشكلات الأساسية التي يعاني منها الناس هي نتاج لمشكلات البناء الاجتماعي العام وهما يرتبطان بمشكلات التاريخ[٤].

٣- يرجع "رايت ميلز" أزمة علم الاجتماع الغربي إلى التصورات الخاطئة للعلم نفسه، فالمفهوم السوسولوجي عنده لابد أن يكون فكرة ذات مضمون إمبريقي فإذا كان هذا المضمون أكبر من الفكرة تردي علم الاجتماع وسقط في التيار الامبريقي التجزيئي،وإذا كانت الفكرة أوسع من المضمون الامبريقي الشواهد البحثية وقع علم الاجتماع في شرك عالم المجردات في النظريات الكبرى.

٤- عاب على معظم المشتغلين بعلم الاجتماع موقفهم المسبق مع التراث الماركسي، لقد كان يؤكد أن قيمة فارق بين أن تفهم وتعرف لترفض وتقاوم وبين أن ترفض وتقاوم دون فهم ووعي، ويعني رفضا لقضايا أساسية وبديهية من قضايا الواقع الاجتماعي وهي قضايا التناقض وحتمية التغيير، فضلا عن تقليص دور العلم وإبعاده عن الإسهام في تغيير الواقع كذلك نجده يشير إلى أنه ليس ثمة علم الاجتماع إلا وكان ماركسيا بالضرورة وإن لم يكن العمل كذلك خرج عن نطاق علم الاجتماع[٥].

٥- حاول الربط بين نقد المجتمع الأمريكي ونقد علم الاجتماع فيه، وهي نقطة كثيرا ما تغيب عمن يصنفون أنفسهم ضمن حركة النقد في علم الاجتماع، كما وضح قضية اغتراب الإنسان الأمريكي وتزييف وعيه وبالتالي طبعه اللامبالاة والقصور فيما يتعلق بالتغيير، كما حاول أيضا ربط الواقع بجانب عوامل أخرى بالطبع بالإيحاء للإنسان بأن مشكلته ليست مشكلة اجتماعية بنائية وإنما نفسية شخصية.

---

[٤] مصطفى خلف عبد الجواد: نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠١٦، ص ١٨٥

[٥] هنري أنكن: عصر الأيديولوجية، ترجمة: فؤاد زكريا، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٤

٦- حاول تصحيح مسارات ما أسماه الخيال السوسيولوجي حيث يتسنى إدراك أبعاد ومشكلات المجتمع، فهذا الخيال كفيل بأن يساعد الباحث على إدراك الفرد جزء من بناء اجتماعي، وأن البناء الاجتماعي جزء ومرحلة من مراحل التاريخ وبالتالي إدراك سياق المشكلات أنه سياق بنائي وليس فرديا أو شخصيا ذاتيا وفي هذا الصدد يقرر "ميلز" أن أولئك المحللين السوسولوجيين الذين كانوا على وعي بأعمالهم ومهامهم كانوا يطرحون ثلاث مجموعات من الأسئلة الرئيسية تحوي أسئلة أخرى فرعية.

٥-رايت ميلز والنقد الاجتماعي:

لقد استطاع "ميلز" أن يكشف عن تناقضات الحياة داخل المجتمع الرأسمالي والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- يعيش الفرد داخل هذا المجتمع الصناعي غير مكترث بما يدور حوله بحيث أصبح يمر بالأحداث الجسام وصور الجريمة دون أن تستوقفه، لقد أصبحت الحياة بمثابة شريط سينمائي يشاهده الفرد ولا يشارك فيه وأن هناك حاجزا من اللامبالاة يمنع الفرد من الانفعال بمشاكل العصر.
- يعيش الفرد في حالة اغتراب داخل العمل تفرضه عليه علاقات العمال الرأسمالية، إن هذه العلاقات تفرض على الفرد نوعا من التخصص الدقيق الذي يعمل مع وجود الضغط والرقابة المتصلة وأسلوب التسلسل الرئاسي المتعدد، على أن يعيش هذه الحالة من الاغتراب عن نتاج عمله، ومجتمعه وهكذا تحدث أساليب الانتاج تغييرا كبيرا في طبيعة الإنسان وفي ظروف وأهداف حياته.
- يترتب على ظروف العمل الصعبة أن يسلم نفسه بعد عودته من عمله إلى وسائل الإعلام والترفيه التي تتنافس في أن تنقل إليه أخبار العالم وتحشد ذهنه بما يريده صناع السياسة فوسائل الإعلام في المجتمع الرأسمالي غالبا ما تكون موالية لمراكز السلطة، وهكذا تزداد عنده حالة الاغتراب ويحجم عن أي مشاركة في الحياة السياسية أو أية مناقشة جادة للأبعاد الحقيقية للمشكلات الاجتماعية، يساهم في هذه اللامبالاة وذلك الاغتراب نسق القوة السائدة في المجتمع الرأسمالي، وهو نسق يعتمد على أساليب جديدة غير معلنة للقهر السياسي إنه من خلال أساليب الإعلام والترفيه ونظم الإنتاج يتحكم في

الأفراد بطريقة خفية ويحركهم حسب أهوائه دو أن يعرف الأفراد من هو المسؤول الحقيقي عن كل ما يجد في حياتهم من مشكلات.

- ترتب على هذا كله ضاقت الفرصة أمام الفرد، لأن يصبح إنسانا حرا كما تدهور العقل في التحكم في مسار الحياة اليومية فنظام العمل في المجتمع الرأسمالي الذي يقوم على الترشيد والأداة وأسلوب الإنتاج الكبير الذي يقدم للفرد حلولا فورية لمختلف المشكلات قد تقلل من قدرة الفرد على اتخاذ القرارات وعلى إعمال فكرة فيما يدور حوله من أحداث[٦].

نستخلص مما تقدم أن "رايت ميلز" قد وضع أساس منهج جديد في العلوم الاجتماعية وهو منهج النقد الاجتماعي، بل أنه ربط بين نقد الواقع ونقد النظرية التي تفسر ذلك الواقع، ومن هنا لا يعد "ميلز" رائد للنقد الاجتماعي فقط وإنما رائدا لكل الاتجاهات النقدية في علم الاجتماع سواء اتجهت نحو نقد الواقع أو نحو نقد النظرية.

[6]Brinbun N : Sociology : disontent presant and perennial in social research, Vol 38, N004, P750